فداك آبي وأمي

للشيخ خالد الراشد

الباب الأول: شدة الأذى على النبي ﷺ

ذكر ما لاقاه رسول الله ﷺ من أذى المشركين: وضع سل الجزور على ظهره وهو ساجد، وخنقه من عقبة بن أبي معيط، وكيف دافع عنه أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

بيان صدق أبي بكر في حبه واتباعه وتضحيته.

تحمل النبي ﷺ وأصحابه أشد أنواع الأذى، وكان الصديق أول من دافع عنه، مثبتًا صدقه في المحبة والتضحية.

الباب الثاني: أبو بكر أول خطيب في الإسلام

إصرار أبي بكر على إعلان الدعوة رغم قلة المسلمين.

خطبته في قريش، وما تعرض له من ضرب حتى شُجَّ وجهه وكاد أن يُقتل.

أول ما نطق به بعد إفاقته: "ماذا فعل رسول الله ﷺ؟".

أبو بكر أول من أعلن الدعوة جهارًا، وتعرض لتعذيب شديد، وكان همه الأول الاطمئنان على النبي ﷺ.

الباب الثالث: الموقف البطولي لأم جميل

دور المرأة في حفظ أسرار الدعوة.

زيارتها لأبي بكر وتبشيرها له بسلامة رسول الله ﷺ.

قسم الصديق ألا يأكل أو يشرب حتى يرى النبي ﷺ.

للمرأة دور عظيم في نصرة الدعوة، وقد جسدت أم جميل ذلك بحفاظها على السر وتثبيتها للصديق.

الباب الرابع: اللقاء المؤثرين النبي ﷺ و أبي بكر

مشهد اجتماع النبي ﷺ بأبي بكر بعد التعذيب.

بكاء النبي ﷺ عليه، وطلب أبي بكر منه أن يدعو لأمه فأسلمت.

الملخص: تجسد اللقاء أسمى معاني الحب والوفاء بين النبي ﷺ وصديقه الوفي أبي بكر.

الباب الخامس: تضحيات الصحابة رجالًا ونساءً

ما لاقاه بلال وخباب وعمار من تعذيب في سبيل الله.

ثبات النساء كما في قصة سمية بنت خياط، أول شهيدة في الإسلام.

موقف آل ياسر وصبرهم على التنكيل والقتل.

ضرب الصحابة أروع الأمثلة في الصبر والثبات، وكانت النساء شريكات الرجال في التضحية والفداء.

الباب السادس: سمية أول شهيدة في الإسلام

تعذيب آل ياسر على يد أبي جهل.

صبر سمية وثباتها على الإيمان رغم التعذيب.

قتلها أبو جهل طعنًا بالحربة لتكون أول شهيدة في الإسلام.

جسدت سمية أروع صور الصبر والثبات، وضربت أمة الإسلام مثلًا خالدًا في التضحية بالنفس في سبيل العقيدة.

الباب السابع: دروس وعبر

طريق الجنة محفوف بالمكاره والابتلاءات.

لا بد من الصبر والمجاهدة لنيل وعد الله.

استحضار قول النبي ﷺ: «صبرًا آل ياسر فإن موعدكم الجنة».

الجنة لا تنال إلا بالصبر والثبات، وهذه المواقف دروس عملية لكل مؤمن صادق في محبته لله ورسوله.

النص الكامل للمحاضرة

فداك آبي وأمي

في جمعتنا هذه المباركة نقلب صفحات تلك المرحلة وننظر في دروسها وعبرها بايجازا وباختصار اول سماك تلك المرحلة كثرة الاذاء واشتداد البلاء على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى اصحابه الكرام مر بنا مر بنا كيف انهم القوا سل الجزور على ظهره صلى الله عليه وسلم وهو ساجد عند الكعبة واخذوا يتمايلون وسقطوا على بعضهم البعض من شدة الضحك فدعا عليهم فدعا عليهم صلى الله عليه وسلم واحدا واحدا فاهلكهم الله جميعا كما وعد الله وقال انا كفيناك المستهزئين روى البخاري عن عروة ابن الزبير قال سألت عبدالله ابن عمر ابن العاص اخبرني باشد شيء صنعه المشركون بالنبي صلى الله عليه وسلم

فقال بينما النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في حجر الكعبة اذ اقبل عقبة ابن ابي معيط فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنق شديدا فاقبل ابو بكر رضي الله عنه حتى اخذ بمنكبه ودفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله اثبت الصديق انه صادق في حبه صادق في اتباعه صادق في تضحيته لقد تحمل الصديق رضي الله عنه من اعباء الدعوة الشيء الكثير بل يفوق الوصف والخيال ولا اجب ان الله زكى حين قال وسيجنبها الاتقى لا اجب ان الله زكى وقال وسيجنبها الاتقى عباد الله اذا كانت هذه الاعتداءات على النبي صلى الله عليه وسلم وله من الجلال والوقار في نفوس العامة والخاصة فكيف فعلوا باصحابه رضي الله عنهم اسمعوا معي ليكون ذلك سلوى لنا وعذاءا وتثبيتا للاقدام على الطريق وحتى نختبر مدى صدقنا ومحبتنا عن عائشة رضي الله عنها قالت لما اجتمع اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا ثمانية وثلاثين رجلا الحى ابو بكر على النبي صلى الله عليه وسلم اكتب ظهور واعلان الدعوة فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ابا بكر انا قليل فلم يزل ابو بكر يلح حتى ظهر النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه وتفرق المسلمون في نواحي المسجد كل رجل في عشيرته وقام ابو بكر في الناس خطيبا ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فكان الصديق اول خطيب دعا الى الله والى رسوله وثار المشركون على ابي بكر على المسلمين فضربوهم في نواحي المسجد ضربا شديدا ولم يسلم منهم احد ووطئ ابو بكر وضرب ضربا شديدا ودنى منه الفاسق عتبة ابن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصفتين على وجهه ثم نزع على بطن ابي بكر حتى ما يعرف وجهه من امته وجاء بنوتين قوم الصديق رضي الله عنه جاءوا مهرولين مسلعين فاجلوا المشركين وابعدوهم عن ابي بكر وحملت بنوتين ابا بكر في ثوب حتى ادخلوه منزله ولا يشكون في موته ثم رجعت بنوتين الى المسجد فقالوا والله لئم مات ابو بكر لنقتلن عتبة ابن ربيعة ثم رجعوا الى ابي بكر فجعل ابو قحافة ابوه فجعل ابو قحافة وبنوتين يكلمون ابا بكر وهو مغمن عليه حتى اجابهم حتى اجابهم في اخر النهار وكان اول ما نطط وقال ماذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت اول كلمة خرجت من فمه رضي الله عنه وارضاه ماذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلاموه ونالوه بالسنتهم وعدلوه ثم قاموا وقالوا لامه ام الخير انظري ان تطعميه شيئا او تسقيه اياه فلما خلت به امه الحت عليه ان يأكل او يشرب وجعل يقول ماذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت والله ما لي علم بصاحبك فقال فقال الصديق رضي الله عنه اذهبي الى ام جميل بنت الخطاب تسألها عنه فخرجت حتى جاءت ام جميل فقالت لها ان ابا بكر يسألك عن محمد ابن عبد الله فقالت ام جميل ما اعرف ابا ولا محمد ابن عبدالله.

وان كنتي تحبين ان اذهب معك الى ابنك فعل. قالت نعم. تأمل معي دور المرأة في حفظ سرية الدعوة وخوفها على نبيها صلى الله عليه وسلم.

فمضت ام جميل معها حتى وجدت ابا بكر صريعا مغشيا عليه من شدة ما اصابه. فبنت ام جميل منه وصاحب قائلة والله ان قوما نالوا هذا منك لاهل فسد وكفر. واني لارجو ان ينتقم الله منهم.

واني لارجو ان ينتقم الله منهم. فافاق الصديق على كلماتها وقال لها ماذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ماذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت هذه امك تسمع. قال فلا شيء عليك منها.

فقالت ام جميل بعد ان اطمأنت هو سالم صالح. هو سالم صالح. قال اين هو؟ قالت في دار بني الارقم.

فقال الصديق المحب الصادق فان لله علي الا اذوق طعاما ولا اشرب شرابا حتى ارى النبي صلى الله عليه وسلم. فان لله علي الا اذوق طعاما ولا اشرب شرابا حتى ارى النبي صلى الله عليه وسلم. اسمع وقل لالائك الذين يقولون لماذا تقافعونهم؟ اسمع وقل لالائك الذين يقولون لماذا تقافعونهم؟ كيف تطيب انفسكم ان تاكلوا طعاما او تشربوا شرابا كيف تطيب انفسكم ان تأكلوا طعاما وشرابا صنعه اولئك الذين يسبون النبي صلى الله عليه وسلم.

ثم تأمروننا في عدم مقاطعتهم ايضا. اشهوات بطونكم احبوا اليكم من الله ورسوله. اشهوات بطونكم احبوا اليكم من الله ورسوله.

فتبا لكم ولبطونكم. فتبا لكم ولبطونكم. والله لا نذوقها ابدا ما حينا.

والله لا نذوقها. والله لا نذوقها ابدا ما حينا. حتى نلقى حبيبنا على الحوض.

وسنرى من يرجع الحوضه صلى الله عليه وسلم بذلك اليوم. سنرى من الذي سيرجع الحوضه في ذلك اليوم. اللهم انا نسألك السباب حتى الممات.

اقسم الصديق رضي الله عنه. ان لا يذوق طعاما. ولا يشرب شرابا.

حتى يطمئن على حبيبه صلى الله عليه وسلم. فانتظرت ام جميل. حتى اذا هدأت الارجل.

وسكن الناس. خرجت به يستكيء عليهما. حتى ادخلتاه حتى ادخلتاه على النبي صلى الله عليه وسلم.

تأمل معي تأمل معي ايها المحب الصادق. تأمل هذا المشهد الرائع وهذا المشهد العظيم يوم انفق الحبيبان. يوم انفق النبي صلى الله عليه وسلم ورفيق دربه الصديق.

فلما ادخل عليه ابو بكر رضي الله عنه. اكبى عليه النبي صلى الله عليه وسلم. يقبله ويحضنه.

ودموعه صلى الله عليه وسلم على خده. واكب عليه المسلمون. ووالله انه لمشهد من اجل المشاهد.

ووالله انه لمشهد من احلى المشادة. او والله انه لمشهد من اهلى المشاهد واجلها. ليتنا كنا معو بنتنا كنا معه فنفوز فوزا عظيما.

نشهد الله. نشهد الله وملائكته. وحملة عرشه.

اننا نسب نبينا صلى الله عليه وسلم. وانه احب الينا من احفظنا. واموالنا.

واهلنا والناس اجمعين. ولو فتحت لنا الابواب لفديناه بكل غال ونبيه. ولقد اتصل علي احد الثقات.

الذي اعرفه تمام المعرفة. اتصل علي باكيا شاكيا. وقال جاءني شيخ كبير.

جاءني شيخ كبير. اعرف صلاحه وتقواه. ولا نزكي على الله احدا.

واخبرني انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منابه. وكان حزينا بابه وامي. فقال للرجل قل لامتي قل لامتي وقل لاذفاعي.

اليس لي حق علهم ان يسدوني بانفسهم؟ اليس لي حق علهم؟ ان يسدوني بانفسهم؟ اما قال الله؟ النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم؟ اما قال الله؟ ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسهم. بنت وبنا. فما ابتلت جوانحنا شوقا اليكم ولا جفت مآقنا.

تكاد حين تناجيكم ضمائرنا. يقضي علينا الاثى لو لا تأثينا. ان كان قد عز في الدنيا اللقاء.

ففي مواقف الحشر نلقاكم ويكثينا. رق النبي صلى الله عليه وسلم رق صلى الله عليه وسلم لما رأى مما طنع الكفار بابي بكر رضي الله عنه. رق له رقة شديدة.

فقال ابو بكر رضي الله عنه بابي انت وامي يا رسول الله. ليس بي بأس الا ما نال الفاسق من وجهي. وهذه امي برة بولدها.

وانت مبارك تدعوها الى الله. وادعو الله لها. اسأل الله ان يستنقذها بك من النار.

قال فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم. ودعاها الى الله. فاسلمت.

واقاموا مع النبي صلى الله عليه وسلم في الدار شهرا. وهم تسعة وثلاثون رجلا. وليس الصديق وحده الذي عذب في الله واذيه.

فلقد عذب بلال. وخباب وعمار. فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله.

وما ضعفوا وما استكانوا. حتى النساء لم يسلمن من التعذيب والاضطهاد. ولكنهن ثبتن كما تثبت الجبال الراسيات امام الرياح العاصفات.

بل سجلت النساء المسلمات سبقا جهاديا. ما سبقها اليه حتى الرجال. وسأتلو عليكم خبرا من اخبارهم لنعلم الفرق بيننا وبين اولئك القوم من رجال ونساء.

اما سمعت عن سمية وآل ياسر وابنهم عمار. اسرة تخرجت من المدرسة النبوية. فسطرت اجمل الاخبار.

كانت سمية ضعيفة في صباها. وضعيفة في شيخوختها. فقد كانت امة مملوكة.

ومجتمع الجاهلية لم يكن يرحم العبيد والمماليك. اسلم عمار ابنها. وكان من اوائل من اسلم.

وعاد الى امه وابيه واخيه. فشرح لهم هذه الدعوة الجديدة التي جاءت لتخرج الناس من الظلمات الى النور. هذا الدين العظيم الذي يحقق العدل والمساواة للجميع.

فقرأ على مسامعهم كلام الرحمة. فانشرحت الصدور. واقبلوا على دين الله.

يتعلمونه ويعلمونه. لقد دخلوا في الدين وانضموا الى كوكبة المسلمين. وهم يعلمون انهم سيدفعون الثمن غاليا.

وهم يعلمون انهم سيدفعون الثمن غاليا. فلقد كانت قريش تعدم وتضطهد كل من اسلم. فمن كانت له قبيلة حمته قبيلته.

ومن لم يكن له كآل ياسر فلقد تفننت قريش في تعبيهم ضرب وجوع وعطش. لقد تحدت سميت وآل ياسر قريشا. حين جهرت في اسلامها.

وكسرت في عزتها. وثباتها جبروت الضغاة والظالمين. فكالوا لها ولأسرتها صاع صاعين.

اذلال ومهانة. قال لهم يعودون الى عبادة الاصنام. وترك عبادة رب الامام.

وترك عبادة رب الانام. كانوا يقولون لهم اي لآل ياسر سبوا محمدا ودينه. حتى يخفف عنكم الاذاب.

فكانت ترد عليهم بكل ثقة ويقين. افل لكم. ولماذا عبدون من دون الله؟ قيدواهم بالقيود تحت اشعة الشمس المهرقة.

فما ضعفوا وما استكانوا. جاؤوا بالجناد للضخمة. ثبتوها فوق بطونهم.

فلم يزدهم ذلك الا ثباتا وايمانا. البسوهم بروع الحديد. وقذفوا بهم الى بطحاء مكة.

تحت اشعات الشمس المتهبة. وكادت نفوسهم تزهق عطشا وتعذيبا. ولكن كأن صوتا من السماء يناديهم.

لكن كأن صوتا من السماء يناديهم يا نار كوني بردا وسلاما كما كنت بردا وسلاما على الابراهيم. لكم ان تتخيلوا احبتي تلك المرأة الضعيفة. الناحلة الجسد.

الكبيرة السن. وهم يصبون عليها اشد صنوف العذاب. ومع اشتداد العذاب يوما بعد يوم جاءت المواسعة للاسرة المعذبة في دينها.

يوم انمر عليها نبي الهدى والرحمة. ورأى صنوف العذاب. وهي تنهال على تلك الاجساد الضعيفة.

وهو الذي لا يملك ان يدفع عنهم طرا ولا يستطيع ان يجلب لهم نفعا. تواصاها بكلمات كالماء السلسبيل. كلمات تخفف حدة العذاب.

كلمات تعطي للإيمان طعما. وللحياة معنى. قال لهم بابي وامي صلوات ربي وسلامه عليه.

صبرا الها صبرا الها فان موعدكم الجنة. صبرا الها فان موعدكم الجنة. فصنعت تلك الكلمات في تلك النفس عجب العجاب.

صبر وتبات فاستلعى غالية. فلابد ان يكون الثمن المدفوع غاليا. اليس الله قد اشترى؟ والمؤمنون قد باعوا.

على ان يكون الثمن الجنة. وعد صادق. وعهد صادق.

ومن اصدق من الله قيل. طال العذاب. وسميته تتحمل واسرتها انواع التنكيل والارهاب.

كلما زاد العذاب طالت صبر والثبات. حتى غضب المشركون. ونفد صبرهم من ثباتها وصبرها.

فاخبروا ابا جهل فاخبروا ابا جهل عدو الله بما يلاقون من عنادها وشدتها وصبرها. فاقبل اليهم. ومعه فتية من بني مخزوق.

جاؤوا واشعلوا النار في دار الياسر. وهكذا الطغاة. وهكذا الطغاة.

لا يتكبروا ولا يتجبرون الا على الضعفاء والفقراء والمساكين. ووضعوا ايديهم في قيود الحديد. وصاروا يتفننون في تعديبهم.

يلهبون اجسادهم بالسيار. يخزونهم بالخناجر والرماع. يحرقونهم بالنار.

يلقون عليهم الاحجار والسقال. ما ذنبهم؟ وما هي جريمتهم؟ لكن صدق الله. وما نقموا منهم؟ الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد.

الذي له ملك السماوات والارض. والله على كل شيء شهيد. والعذاب يزداد.

وابا جهل وبا معه. ينتظرون من الياتر. صيحة ردة عن دين الله.

فلا يضفرون منهم بشيء. بل تقول سمية. رضي الله عنها بكل قوة.

عندما ترى النبي صلى الله عليه وسلم يمر عليهم وهم يعذبون. اشهد انك لرسول الله. واشهد ان وعدك الحق.

تقول ذلك. وهي في شدة العذاب. ويصيح ويصيح ابو جهل بعد ان فقد صوابه من ثباتها.

لتذكرنا محمدا بسوء. ولتذكرنا الهتنا بخير. او لتموتنا.

فتقول الموت احب الي مما يدعوني اليه. الموت احب اليه مما يدعونني اليه. ترد عليه بكل شجاعة.

بؤسا لك ولالهتك. بؤسا لك ولالهتك. فيشتد الغضب باب جهل ويتطاير من عينيه.

فيضربها في بطنها برجله. ثم يطعنها بحربة كانت بيده في اسفل بطنها. لتكون اول شهيدة في الاسلام.

لتكون اول شهيدة في الاسلام. ماتت. وطابت روحها الى بريها.

بعد ان قدمت لنا درسا على العزة والثبات. ما وهنت. ما ضعفت.

وما استكانت. ونداء ربها في مسامعها. ولا تهنوا.

ولا تحزنوا. وانتم الاعلون. ان كنتم مؤمنين.

ان يمسككم قرح فقد مست القوم قرح مثله. وتلك الايام نداولها بين الناس. وليعلم الله الذين امنوا منكم.

ويتخذ منكم شهداء. والله لا يحب الظالمين. وليمحس الله الذين امنوا.

ويمحق الكافرين. ام حسبتم؟ ان تدخلوا الجنة؟ لا. الذين جاهدوا منكم ويعلم الطابرين.

اي لا طريق للجنة الا عن طريق الصبر والمجاهدة. ام حسبتم ان تدخلوا الجنة؟ ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم. ويعلم الطابرين.

ولقد كنتم تمنون الموت. من بعد ان تلقوه. فقد رأيتموه وانتم تنظرون.

وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل. افا ام مات او قتل ان قلبتم على اعقابكم? افا ام مات او قتل ان قلبتم على اعقابكم? ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا. وسيجد الله الشاكرين.

ماتت. ماتت رضي الله عنها موتة الافطار. واهل المبادئ.

ماتت وهي تنتظر بشارة النبي صلى الله عليه وسلم. حين كان يمر عليهم وهم يعدبون وكان يقول لهم صبرا اهل ياسر ان موعدكم الجنة. لسان حال الصادقين.

اما حياة تصر الصديق. واما مات يغيظ العداء. قل بفضل الله.

قل بفضل الله وبرحمته. فبدلك فليصرحوا. هو خير مما يجمعون.

ونحن ما نسوق هذه المواقف. وهذه الاخبار. الا ليعلم كل من سلك هذا الطريق.

بان الطريق ليس مفروشا بالورود والازهار. وانما هو كما قالت صلى الله عليه وسلم. حفة الجنة بالمكتب.